مركزية البعد التربويّ
في مشروع النهضة عند مالك بن نبي

The Centrality of The Educational Dimension in Malek Bennabi's Civilizational Renaissance Project

د. محمد كشت

مركز البحوث والدراسات في
حوار الحضارات والأديان
المقارنة بسوسة
تونس

kocht.med@gmail.com

مركزية البعد التربوي في مشروع النهضة عند مالك بن نبي ـــــــ

1- مقدّمة:

يعدّ مالك بن نبي من أبرز المفكّرين العرب الذين ربطوا بين بناء الحضارة وتأهيل الانسان. وفي سياق محاولات الإجابة على سؤال النهضة كما طرحه "شكيب أرسلان" ""لماذا تخلف المسلمون، ولماذا تقدم غيرهم؟" شدّد مالك بن نبي على الانطلاق من تغيير البنية النفسية والذهنية للإنسان العربي والمسلم. ومن هنا يبرز مشروع مالك بن نبي بما هو منوال تربوي مخصوص أفقه تأهيل الإنسان العربي لكي يستعيد فعاليته الحضارية التي افتقدها لسنوات طوال.

في هذا السياق يحاول هذا البحث الولوج إلى مشروع مالك بن نبي لا بوصفه مجرد منهج تعليميّ كلاسيكيّ يروم إذكاء مهارة تملّك المعارف، وإنما بوصفه مشروعا حضاريّا يروم قدح الإرادة من أجل إنجاز حلم الدورة الحضارية الجديدة في العالم العربي الإسلامي.

يذهب مالك بن نبي إلى أنّ ما وسمه بـ"إنسان ما بعد الموحدين" الذي يختزل كل معاني الانهيار والإنهاك، هو في نهاية التحليل العقبة الكأداء أمام كل آمال النهوض والرقي الحضاريّ، فها هو يقول: إنّ "النقائص التي تعانيها النهضة الآن يعود وزرها إلى ذلك الرجل الذي لم يعد طليعة في التاريخ، (...) هذا الوجه المتخلّف الكئيب، مازال حيا في جيلنا الحاضر(...) تحمل أخلاقه وميوله وأفكاره صورة (إنسان ما بعد الموحدين)"[1]. وانطلاقا من هذا التشخيص الذي توصل إليه ابن نبي، فإنه لا مناص من الاشتغال العميق على هذا الإنسان، في سياق البدايات الأولى لتحقيق حلم النهضة المؤجل.

يحدد ابن نبي الهدف النهائي لهذا الاشتغال بأنّه التخلّص من الصورة المنهكة لـ"إنسان ما بعد الموحدين"، ونحت صورة ناصعة جديدة للإنسان الناهض. يقول مالك بن نبي في هذا الصدد " إن حاجتنا الأولى هي الإنسان الجديد، الإنسان المتحضّر، الإنسان الذي يعود إلى التاريخ الذي خرجت منه حضارتنا منذ عهد بعيد"[2].

ولئن اتّضحت معالم مشروع إنسان مالك بن نبي، فإن بلورته ستكون على محكّ السؤال العلمي "كيف؟"، أي كيف السبيل إلى هدم الصورة المتداعية لإنسان الانحطاط؟، ثم كيف سنبني على أنقاضها صورة مناقضة لها تماما، إنها صورة الإنسان الفاعل، والمنخرط في مسار البناء والمتطلّع إلى الإسهام في نحت الصرح الحضاري الجديد؟

يرتكز البناء الحضاري عند مالك بن نبي على العوالم الثلاثة: عالم الأفكار وعالم الأشخاص وعالم الأشياء. لكن "الأفكار" هي قاعدة هذا الهرم الثلاثي فهي الطريق إلى إذكاء الفعل الحضاري لدى "الأشخاص"، لتكون الحصيلة في الأخير نتاجا حضاريا في "عالم الأشياء". غير أنّ صاحب "شروط النهضة" يشترط تأصيل تلك الأفكار في رحمها الثقافي. ولا غرابة والحال تلك، أن نجد ابن نبي يركز على "الفكرة الدينية" بما تحمله من قدرة على تحريك طاقات الإنسان الكامنة. وقد أفرد فعلا فصلا في الطبعة الثانية

1- مالك بن نبي. وجهة العالم الإسلامي، (ترجمة عبد الصبور شاهين)، دمشق، دار الفكر، 2002 ص37.

2- مالك بن نبي. تأملات، دمشق، دار الفكر، 2002، ص193.

مركزية البعد التربوي في مشروع النهضة عند مالك بن نبي ـــــــ

مجلّة نقد وتنوير - العدد الثامن والعشرون - السنة السابعة ـــــــ

مركزية البعد التربوي في مشروع النهضة عند مالك بن نبي ـــــــ

مجلّة نقد وتنوير - العدد الثامن والعشرون - السنة السابعة ـــــــ

مركزية البعد التربوي في مشروع النهضة عند مالك بن نبي ـــــــ

مجلّة نقد وتنوير - العدد الثامن والعشرون - السنة السابعة ـــــــ

مركزية البعد التربوي في مشروع النهضة عند مالك بن نبي ـــــــ

مجلّة نقد وتنوير - العدد الثامن والعشرون - السنة السابعة ـــــــ